تأملات في

المزامير

لآباء الكنيسة القديسين

المزامير من ١ — ١٠

كنيسة مار جرجس باسبورتنج

تفسير المزامير للآباء القديسين

من ١ - ١٠	٥
١١ - ٢٠	تحت الطبع
٢١ - ٣٠	٥
٣١ - ٤٠	٩
٤١ - ٥٠	٨

† † †

يطلب من مكتبة كنيسة مار جرجس باسبورتنج

† † †

قصة الكنيسة ج ١	تحت الطبع
قصة الكنيسة ج ٢	٦٠
قصة الكنيسة ج ٣	٥٥

مطبعة الكرنك ٦٨ شارع السبع بنات ت ٨٠٩٩٢ الاسكندرية

تأملات في

المزامير

وفق الكنيسة المشرقية

المزامير من ١ — ١٠

كنيسة مار جرجس بالسبورتنج

المزامير

هي سفر الصلاة الذي ألهم به الروح القدس داود النبي وغيره من المرنمين . وعلمنا بولس الرسول عندما يتحدث عن الصلاة يقول « لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها . ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح » رو ٨ : ٢٦ ، ٢٧ .

✝ لذلك أحياناً ما نصلي وربما تكون صلاتنا ليست بحسب مشيئة الله .

✝ وأحياناً نطلب من الله أموراً تضرنا ـ في الوقت الذي فيه علمنا الرب بسرعة ألا نطلبها ... « لا تهتموا بالغد » ... « اطلبوا ملكوت الله وبره » .

✝ وأحياناً لا نريد أن نطلب من الله أن ينقي حياتنا بالتجارب ، عندئذ نذكرنا المزامير بصلاة داود « ابتلني يا رب وجربني ونقي كليتي » .

✝ وأحياناً ننسى الصلاة الدائمة فنجد داود النبي يرتل « أبارك الرب في كل وقت وفي كل حين تسبحته في فمي » « محبوب هو اسمك يا رب ، فهو طول اليوم تلاوتي » .

✝ واذا أردت إجابة على الملحدين فرتل مزمور ٧٦ لتعرفهم أن المعرفة هي في الكنيسة فقط .

✝ واذا اشتقت إلى البيت السماوي فرتل من ٨٤ .

✝ وإذا أردت الترنم مع خدام الرب فرتل من ٨١ ، ٩٥ .

✝ وإذا أردت أن تشجع نفسك مع الآخرين على خوف الله فقل من ٩١ .

✝ وليوم الرب (الأحد) رنم من ٢٤ ، وليوم الاثنين (بداءة الأسبوع) من ٩٥ أما يوم الجمعة (يوم صلبوت المسيح) فرتل من ٩٣ .

✝ وعندما تنتصر وترى الله ملك على قلبك فقل المزمور ٩٧ .

✝ وعندما تريد اختبار النمو الروحي فرنم ترانيم المصاعد من ١٢٠ - ١٣٤ .

✝ والانسان يمتحن بالتجربة ، فاشكر الله عندما تعبرها وقل من ١٣٩ .

✝ وعندما تريد النجاة من التجربة الشريرة فقل المزمور ١٤٠ .

✝ وإن أردت أن تتأمل في آلام الرب وصليبه فستجد من ٢٢ ، ٦٩ . والمزموران ٣ ، ١٠٩ فيتحدثان عن مكر اليهود ومكائد

الاسخريوطي . أما من ٢١ ، ٥٠ ، ٧٢ فتتحدث عن مجيء الرب الثاني بالجسد وعن دعوة الأمم . والمزمور ١٦ يتحدث عن القيامة و ٢٤ ، ٤٧ عن الصعود للسماء .

هذا هو ملخص مختصر لما كتبه القديس أثناسيوس الرسولي الذي يكمل قائلا : تلك هي إذن طبيعة سفر المزامير وأوجه استعماله فبعضها يستخدم لتقويم النفوس البشرية وكثير منها يتنبأ عن مجيء مخلصنا يسوع المسيح بصورة بشرية .

○ ○ ○ ○

✝ وكنيستنا المقدسة - جبر عشرين قرناً - ترتل المزامير وتصليها في سبع صلوات يومية - وهذه الصلوات هي التي ترعرع عليها الآباء القديسون والنساك والشهداء ...

✝ واذا كنا في عصرنا الحاضر نجد بعض الملل في الصلاة بالمزامير فهذا يكشف لنا عن حقيقة حياتنا التي انغمست في العالم وبعدت عن روح الصلاة بل أنها تسير في اتجاه مضاد . فمثلا نقف لنصلي مزموراً عن حياة الشكر ونحن في غاية التذمر أو نردد مزموراً عن الفرح بالتوبة والرجوع لله ونحن في ذات الوقت منغمسين بالخطية نتلذذ بها ... الخ .

✝ وأحياناً ننسى الصلاة من أجل أعدائنا ، حاراً لأجل الذين يسيئون إليكم، فتذكرنا المزامير بصلاة داود لأجل مضطهديه.

✝ ويذكرنا بالصلاة لأجل الكنيسة وإخوتنا وأقربائنا ، من أجل إخوتي وأقربائي تكلمت عن أجلك بالسلام » .

وأمثلة أخرى كثيرة تؤكد لنا أن الذين يصلون صلاة المزامير بتأمل يضيعون على أنفسهم فرصة الصلاة بحسب مشيئة الله .

* * * *

ويقول القديس أثناسيوس الرسولي إنه باستثناء مزامير النبوات عن المخلص والأمم يمكن للقارىء أن يتناول كلماتها لشفتيه على أنها كلماته ويترنم كل انسان بها على أنها كتبت لفائدته الخاصة ... فهي مرآة تكشف كل أعماله . وسيجد الإنسان نفسه ـ قديساً كان أو خاطئاً ـ سيجد أنه يصف نفسه .

... ويكمل القديس قائلا : فسنجد في المزامير لا مجرد انعكاس حالة نفوسنا مع الوصية ، بل أيضاً صياغة الكلمات الموافقة التي بها نسبح الرب في كل مناسبات حياتنا .

✝ فعندما نشكر الرب تعلمنا الكنيسة أن نقول المزمور ١٣٥

(المزمور الثاني) ، اذكروا الرب لأنه صالح رحمته. لأن رحمته كائنة إلى الأبد ، كذلك المزمور ١٠٣ الذي يقول باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل

✝ وعندما نتعلى ، ونريد أن نرفع قامتنا المزمور ٦ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٥٠ ، ٦٠ ...

✝ وعندما يضطهدنا الأعداء نقول المزمور ٣٢ ، ٩١ .

✝ وإذا رأيت الشر محيطاً على حكماء الله ... ودموع من أجلهم بالمزمور ١٤ ، ٣٥ .

✝ وإن أردت أن تتمم كيف تقتني حضرة الله قال المزمور ١٥ .

✝ وإذا أردت أن تتعلم كيف كان موسى يصلي قائلاً المزمور ٩٠ .

✝ وستجد المزمور ٩٥ كافياً كلما اشتهيت أن تسبح الله .

✝ وعندما تجد الأبرار في ضيق والأشرار في رخاء وسلام فلا تغر أو تتعجب بل تمم المزمور ٧٣ .

✝ وعندما يغضب الله على شعبه وتقل مزمور ٧٤ .

✝ وإذا أردت أن تشهد لله فأمامك المزامير ٩ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٩٢ ومن ١٠٥ إلى ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

† والقصد من هذا الكتاب وما يليه من نفس المجموعة أن تجمع تأملات بعض الآباء القديسين عن المزامير، والواضح أن أغلب التأملات فى بعض المزامير هى لأغسطينوس .

ارب نقدر أن يكمل هذا العمل لمجد اسمه القدوس فقط ببركة وشفاعة الكنيسة مريم العذراء والدة الإله أم النور وكافة الآباء القديسين ودعوات أبينا المكرم غبطة البابا المعظم

الأنبا شنوده الثالث

ويعوض الأخت المباركة [illegible] فى اعداد هذا الكتاب.

الكنيسة

† † †

المزمور الأول

بدأ معلمنا داود النبى مزاميره

١ - بكلمة طوبى ... وهى نفس الكلمة التى بدأ بها السيد المسيح رسالته على الأرض « طوبى للمساكين بالروح ... الخ » مت ٥ : ٣ . وهنا ينكشف لنا تشجيع الله ، فهو يطوّبنا عندما نبتعد عن الشر - كما طوّب السيد المسيح بطرس الرسول عند اعترافه بألوهيته « طوباك ياسمعان بن يونا ... » ، مع أن اعتراف بطرس لم يكن من ذاته لكن من الله الآب الذى فى السماء .

٢ - ويكمل « طوبى للرجل ... » ، فهو يتحدث بلغة المفرد « لأنه ليس بار ولا واحد ... الجميع زاغوا وفسدوا معاً ... » رو ٣ : ١٢ ، ولكن يوجد رجل واحد - ابن الانسان الذى قال « من منكم يبكتنى على خطية » . فكأن النبى يرى الكمال فى المسيح وحده الذى هو جسد الكنيسة ، ونحن فى عهد النعمة نأخذ منه لأننا أعضاء فى جسمه ، لذلك فى العهد الجديد قال كلمة « طوبى » بأسلوب الجمع « طوبى للمساكين بالروح ... » فكأن داود النبى قد افتتح مزاميره بالحديث عن الرب يسوع رجاء العالم كله وكمال الأنبياء ، والرسل والشهداء ... رئيس الإيمان ومكمله » عب ١٢ : ٢ .

٣ - ثم كمل قائلا « طوبى للرجل الذى لم يسلك فى مشورة الأشرار . . . فالعالم يطوّب الرجل الغنى، وصاحب الشهادة العالية، والفتاة الجميلة . . . الخ ، وهنا النبى لا يطوّب شيئاً زائلا من هذه التى قال عنها الرسول « إنها كزهر العشب يزول ، لأن الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره هكذا يزبل الغنى أيضاً فى طرقه » يع١ : ١٠ ، ١١ . وبذلك يفتتح النبى مزاميره بالدعوة للحياة الفاضلة ، الحياة المثمرة التى تنتهى بالأبدية السعيدة .

* * * *

الجهاد الروحى فى المزمور

١ - المسيحى انسان عابر طريق يسعى للوصول لهدف ، من أجل ذلك يجب أن يستمر فى السلوك فى الطريق بلا توقف . طوبى للرجل الذى لم يسلك فى طريق الخطاة ، أما نحن الآن فطريق سيرنا هو الرب يسوع « أنا هو الطريق والحق والحياة » .

٢ - والجهاد الروحى نوعين :

(أ) سلبى : يحذر منه النبى فيقول لا يقف فى طريق الخطاة،

ولا يسمع لمشورة المنافقين ، ولا يشترك مع المستهزين .

(ب) والنوع الثانى إيجابى يعنى النمو الروحى وظهور ثمار الروح القدس فى حياتنا ويقول عنها النبى إن المؤمن ينبغى أن يكون كالشجرة المغروسة على مجارى مياه الروح القدس التى هى أسرار الكنيسة : كالمعمودية ـ التناول ، والصلاة ، وكلمة الله .

(٣) مراحل الجهاد الروحى السلبى : يقسمه النبى إلى ثلاثة مراحل : سلوك ، وقوف ثم جلوس .

(أ) لا يسلك فى مشورة المنافقين : فالخطية تبدأ بمجرد سلوك عابر ، مشورة عابرة ، قصة عابرة ، شهوة عابرة . . . ثم يتورط الإنسان بعد ذلك .

(ب) ثم يقف فى طريق الخطاة . فبعد أن كانت الخطية عابرة، أصبحت الآن وقوف لفترات أطول تؤدى بعد ذلك إلى جلوس.

(ج) جلوس فى مجلس المستهزئين . وهذه مرحلة صعبة من مراحل التورط فى الخطية ، لذلك فمقاومة النظرة الشريرة سهلة قبل أن تقف فى الفكر ، ثم تجلس فيه لتصير موضوع لذة . . . وهكذا . . . لذلك :

يرى القديس أوغسطينوس أن المرحلة الأولى أى السلوك

يؤدى إلى البعد عن الله ، والمرحلة الثانية أى الوقوف يعنى التلذذ بالخطية، أما المرحلة الثالثة وهى الجلوس، فتعنى الثبوت فى الكبرياء.

وفى هذه المرحلة الثالثة يصعب الرجوع إلى الخلف إن لم تدركنا مراحم الله. من أجل هذا فالخطية تبدو بسيطة ولكنها فى أساسها تؤدى فوراً للبعد عن الله ، ولذلك فمقاومة الخطية فى بدايتها أسهل جداً ، والمقاومة الأقوى فى أول مراحل الخطية : هى الثبوت فى الله ـ وهذا هو الجهاد الايجابى .

٤ ـ الجهاد الروحى الايجابى :

« وفى ناموسه يلهج نهاراً وليلا [illegible] وع » ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » لو ١٨ : ١ . [illegible] ناموس الله ينبغى أن يتحول فى حياة المؤمن إلى حياة ، يلهج فى كلمة الله ، ويرددها ، وينفذها . فليست الفائدة فى كثرة الاستماع والاطلاع بل أن يتحول الكلام الذى نسمعه إلى حياة نلهج فيها . ولقد فشل الشيطان فى محاولة الكنيسة يوستينا .. إذ فى كل مرة يصل إليها يجدها قائمة تصلى لا تستطيع الاقتراب منها، حتى أعترف بفشله.

فالتمسك باسم الله ، وترديده واللهجان فى ناموسه طول النهار والليل : قوة عظيمة فى الجهاد الروحى ، تحصننا ضد محاربات الشيطان واغراءات العالم .

ويرى القديس أوغسطينوس بالإضافة إلى ماسبق ، أن كلمة « نهاراً » ترمز إلى حالات الفرح والسرور ، « وليلا » تشير إلى الضيقات والتجارب ، نهاراً كما قيل عن أبينا ابراهيم « تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح » يو٨ : ٥٦ . وليلا كقوله « بالليل تنذرنى كليتاى » مز ١٦ : ٧ .

ثمار الجهاد الروحى

ثمار الروح القدس

١ ـ المسيحى فى جهاده الروحى ـ ينبغى أن يكون فى دائرة الكنيسة حيث مجارى الروح القدس . فهو كالشجرة أو النخلة « الصديق كالنخلة يزهو . . . مغروسين فى بيت الهنا » مز٩٢ : ١٣ فالقديسون العظام نشأوا فى حضن الكنيسة المقدسة وارتووا من مياه الروح القدس فى أسرارها وفى صلواتها وعباداتها لذلك امتلأت حياتهم بالثمار .

٢ ـ المياه تشير للروح القدس كقول الرب يسوع « من آمن بى تجرى من بطنه أنهار ماء حى . . . قال هذا عن الروح القدس الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » يو٧ : ٣٨ ، ٣٩ . من هنا نستطيع أن ندرك أن الثمار فى حياة المؤمن إنما هى ثمار

الروح القدس « محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة » غل ٥ : ٢٢ .

وهكذا نرى أن الإنسان الذى يلهج نهاراً وليلا فى كلمة الله ، ويبتعد عن مجال الأشرار والخطاة والمستهزئين ، تظهر فى حياته المحبة ، الفرح ، السلام ، طول الأناة ، الوداعة ، التعفف ... التى هى كلها من ثمار الروح القدس، فالروح يعيننا بآيات وتنهدات لاينطق بها ، رو ٨ : ٢٦ . والرب يسوع الذى زرع شجرة حياتنا ورواها بدمه وبروح قدسه يأتى ليطلب ثمراً من هذه الشجرة وإلا فيقلعها .

٣ ـ أوراق الأشجار المثمرة ثابتة ، أما الأشجار غير المثمرة فأوراقها تتغير كالهباء ... الثمار يتمتع بها الله والناس ، أما الأوراق المنتشرة فلا تصلح إلا أكلا للبهائم ، وهكذا يتضح لنا قيمة حياة الانسان الثابت فى الله ... كلها ثمار نافعة لذاته وللعالم، أما الأشرار فإنهم يعطلون الأرض « ... هم أوراق خريفية بلا ثمر ميتة ... » يهوذا ١٢ . هذه الأوراق تذريها الريح ، والريح ترمز إلى تجارب العالم وشدائده ، كما ترمز لكبرياء وغرور المنافقين فهم يهدمون أنفسهم بأنفسهم .

الدينونة الأخيرة

يعتبر داود النبى أول من تكلم عن الدينونة فى اليوم الأخير، فموسى والأنبياء لم يتكلموا عنها ، فالخطاة يقومون للدينونة ولكنهم لايقومون فيها ، أو يتمتعون بها ، أو يقومون فى مجمع الصديقين ، والرب لايعرفهم بمعنى لا يعرفهم ، كما قال للعذارى الجاهلات « إنى لا أعرفكن » مت ٢٥ : ١٢ . أو كما قال لآدم بعد أن أخطأ « أين أنت » ، وكذلك تقول لله « لماذا نسيتنى أو اذكرنى يا إلهى » . أما الأبرار فالرب يعرفهم ويحبهم دائماً كان معهم يقول لهم « تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم قبل انشاء العالم .

* * * *

وهكذا نرى أن داود النبى افتتح مزاميره بهذا المزمور الذى يعتبر منهجاً واضحاً للحياة الروحية الناجحة .

✝ وكنيستنا المحبوبة بدأت صلوات باكر بهذا المزمور لكى يكون منهجاً لحياتنا طول اليوم فى عدم السلوك فى مشورة الأشرار ، عدم الوقوف فى طريق الخطاة ، وعدم الجلوس فى

مجلس المستهزئين وبعد ذلك فيما يجب على المسيحى أن يلهج فى ناموس الرب ...

✝ فى ناموسه يلهج نهاراً وليلا: أى أن يتحول هذا التعليم إلى تدريب عملى : بأن نختار آية للتأمل اليومى أو للتكرار ... نرددها عشرات المرات ، فى طريقنا ، فى أثناء عملنا ... وبهذا يكون لكل يوم آية للتأمل ... بعدها يتحول كلام الله إلى منهج عملى لحياتنا ، وناموس لنا نلهج فيه نهاراً وليلا.

✝ ✝ ✝

المزمور الثانى

داود النبى كتب مزاميره بروح النبوة ، ناظراً إلى يسوع المسيح مخلص العالم الذى فيه تتحقق المواعيد وتتم الرجاء . داود النبى مسح ملكاً على شعب محدود ومملكة أرضية صغيرة ، لكنه كان يرى كامل ملكه فى ملكوت ربنا يسوع المسيح ملكاً . ولكن مملكته ليست من هذا العالم . من أجل هذا يعتبر سفر المزامير أكثر المزامير التى تنبأت عن ميلاد المسيح وحياته وموته وفدائه وقيامته وصعوده . ولقد افتتح داود النبى قيثارته بهذا المزمور واصفاً فيه مملكة المسيح المنتظرة ...

○ ○ ○ ○ ○

مملكة المسيح

عندما جاء المسيح للعالم ، ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل . (١) . تآمر هيرودس على قتل المسيح ، واتفق بيلاطس مع هيرودس ومع رؤساء الشعب على صلب الرب . والنبى هنا يسأل لماذا ؟ لماذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل . ولماذا قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء على الرب وعلى مسيحه قائلين لنقطع رباطاتهم ونلق عنا نيرهم (٢) ، (٣) ... لماذا كل هذا ؟

لقد بدأ المزمور بكلمة «لماذا» لكى يكشف أن كل أعمال الأمم ضد الكنيسة باطلة .

الواقع أن ملكوت المسيح لم يزاحم ملوك الأرض فى مقتنياتهم بل قال « أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ولكن تعاليم المسيح تعارضت مع تعاليم الملوك والرؤساء ، وكانت تعاليمه بالنسبة لهم نيراً وربطاً وأغـــلالا . فقالوا « لا نريد أن هذا يملك علينا » لو ١٩ : ١٤ . مع أن نير المسيح هين وحمله خفيف ، ولكن انسان العالم لا يقبل ما لروح الله فيرفض المحبة والسلام والتسامح والبذل والتضحية والاتضاع ، لكنه يحب البغضة والمشاجرة والنفاق والنجاسة والكبرياء والأنانية .

ورغم هذه المقاومة الشديدة من العالم حتى الصليب ، ولكن انتصرت مملكة المسيح بالقيامة من الأموات . فجاء المسيح إلينا « غالباً ولكى يغلب » رؤ ٦ : ٢ . وقال لنا عن كنيسته أن أبواب الجحيم لن تقوى عليها - من أجل ذلك قال داود النبى « الساكن فى السموات يضحك بهم والرب يمقتهم » . السموات ترمز لنفوس المؤمنين الذين لا يبالون بقوى الشر فى العـــالم فى وقت حربهم الروحية ضدهم .

ملكوت الله على الأرض ثم بمسح المسيح ملكاً على صهيون ليكرز بأمر الرب (٤) ، وصهيون هى الكنيسة - جبله المقدس التى خرجت منها الكرازة إلى كل الأرض وهنا يؤكد لنا المزمور أن كنيسة المسيح كنيسة كارزة بملكوت الله . وملكوت الله على الأرض لابد أن يتم بالتجســـد الإلهى لذلك قال « أنت ابنى » (ولادة أزلية) وأنا اليوم ولدتك (اشارة إلى الميلاد الجسدى) . وبالتجسد الإلهى أخذ الابن جســـداً ، لأن كل ما هو للآب فهو للإبن . لذلك :

أولا - ورث شعباً يرعاه : فعندما دخل الهيكل قال بيتى بيت صلاة يدعى ، ومرة أخرى قال بيت أبى .

ثانياً - اسأل من الآب ميراثاً من الأمم : وهكذا صار المسيح ملكاً على الجميع - الذين هم من الختان والذين من خارج الختان - وصار سلطانه إلى أقطار الأرض . وكلمة اسألنى هنا تشير لعمل المسيح كرأس للكنيسة ، وتشير لشفاعته الكفارية فى الذبيحة ، وأن الميراث سيكون هو الكنيسة التى صـــارت فى ملكيته إذ اشتراها بدمه .

أبناء الملكوت ، هم شعب المسيح يقولون له يا أبانا الذى فى

السموات ويطلبون بشدة ، ليأت ملكوتك ، لكى يملك بالتمام على حيـــاتنا - إن ملكوت المسيح تم بدفع الثمن - أى بدمه على الصليب . وجعلنا فى ملكوته « ملوكا وكهنة لله أبيه » رؤ ١ : ٦ . والآن الرب يسوع ملكنا ومسيحنا يؤدبنا بكلام نعمته فيقول « أيها الملوك افهموا ، تأدبوا » (١٠) . والإنسان الملك هو الذى ملك نفسه يضبط أمراءه مع شهواته ، الذين هم للمسيح قد صلبوا الأهـــواء والشهوات ، غل ٥ : ٢٤ . واعتبر النبى أولاد الله قضاة الأرض لأنه قد أعطى لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت الله وأحكامه . وعندما يعبدون الرب بخشية وخضوع يعلم منهم الذين من خارج . لأنه يجب حقا لأولاد الله أن يتميزوا بالأعمال الصالحة فيمجدوا الملك السماوى (أبا الأنوار الذى فى السموات) وهذا يخضع يصاحبها التهليل برعدة . فعبادتنا كلها خوف ورعب وسجود ومخافة وتسبيح ولكن ينبغى أن تكون بخضوع وأدب . والأدب يكون بكلمة الله وتعاليمه ، والذى يجعـــله الرب يؤدبه ، الإنسان الذى لا يعيش حسب وصايا الإنجيل يضل طريق الملكوت . لذلك قال « والزموا الأدب لئلا يغضب الرب فتضلوا عن طريق الحق » (١٢) . وكلمة افهموا هنا تعنى احذروا الكبرياء .

والمرة الأولى التى جاء فيها المسيح ملكا على الأرض بواسطة

الصليب ، فيها يعلم وفيها يؤدب لأنه لم يأت ليملك بل ليخلص . ولكن فى لحظة فى مارة حين يأتى الرب فى المجد ، الثانى ليدين المسكونة لذلك قال « عندما يقد غضبه بسرعة » ، فيذهب الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين صنعوا السيئات إلى قيامة الدينونة (يو ٥ : ٢٨) .

وختام الأمر كله طوبى للإنسان المتكل عليه اليلويا .

المزمور الثالث

مزمور لداود حينما هرب من وجه ابنه أبشالوم

يمكننا دراسة هذا المزمور من ثلاث اتجاهات :

اولا – المزمور من الناحية النبوية

الآية التى تقول « أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت » تجعلنا نؤمن أن هذا المزمور قيل فى شخص ربنا يسوع المسيح لأنها تصف موت الرب وقيامته أكثر مما تصف آلام داود وهروبه من وجه ابنه ابشالوم .

أبشالوم يرمز ليهوذا الإسخريوطى ، فأبشالوم ابن داود الذى قام ضد أبيه ويهوذا تلميذ المسيح الذى أسلمه . أبشالوم يعنى « سلام الآب » ولذلك ربنا يسوع كان للحظة الأخيرة يكن كل حب ليهوذا – فغسل رجليه وأطعمه من جسده الطاهر وقال له « أبقبلة تسلم ابن الانسان» .فلقد كان أبشالوم موضع سلام الآب ومحبته كذلك يهوذا الإسخريوطى .

« يارب لماذا كثر الذين يحزنونى ، كثيرون قاموا علىّ ، كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه » فالسيد المسيح قام عليه اليهود وامم الرومان . جميع الطوائف من كتبة وفريسيون

وصدوقيون وكهنة وعامة الشعب كلهم قالوا أصلبه أصلبه ، وبعد أن علق على الصليب قالوا عنه ليس له خلاص بإلهه « قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده » مت ٢٧ : ٤٣ .

لقد كثر الذين يحزنون داود من أجل خطيته ، أما السيد المسيح فقال كل هذا من أجلنا وهو البار كما قال اللص اليمين « أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله » لو ٢٣ : ٤١ .

« أنت يارب أنت هو ناصرى » هذا هو صوت السيد المسيح نيابة عن الجنس البشرى الذى أخذ جسده منه ... هذا هو صوت النصرة بلسان الرب لأنه لم يكن ممكناً أن يمسك من الموت . وإن كان هذا هو صوت السيد المسيح ، فليرى ذلك الانسان المتكبر كيف اتضع الإله ويتعلم منه .

أنا نمت (اضطجعت) : فى حالة النوم يكون الجسد نائماً أما النفس فهى صاحية وأحياناً تحلم ، وهكذا بالنسبة لربنا فالجسد كان نائماً أما النفس فنزلت للجحيم من قبل الصليب .

وقوله أنا : يعنى أنه نام بإرادته . وهذا ينطبق على قول السيد المسيح « لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً . ليس

أحد يأخذها منى بل أضعها أنا من ذاتى ولى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً » يو ١٠ : ١٧ ، ١٨ .

أما قوله « أنا أضطجعت ونمت ثم استيقظت » بأسلوب الماضى، فهذا يعنى أن الموت والصلب والقيامة ، هذه الأمور كانت فى ذهن الآب منذ الأزل .

أما قوله فيما بعد « قم يارب » بأسلوب المستقبل، فهذا يؤكد حقيقة أن هذا الكلام نبوة ستحدث فى المستقبل رغم أن النبى سبق فذكر أحداثها فى الماضى .

« لأن الرب ناصرى ـ فلا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى القائمين علىّ قم يا رب خلصنى لأنك ضربت كل من يعادينى باطلا أسنان الخطاة سحقتها » .

هذا هو صوت الانتصار يتكلم به الرأس القائم من الأموات فلم تقدر ربوات الجموع أن تغلبه ، ولكن سحق أسنان الخطاة وأسنان الخطاة تعنى رؤساءهم ـ والشيطان ـ هذا العالم فربنا سحقهم جميعاً بالصليب . . .

« للرب الخلاص وعلى شعبه بركته » .

الخلاص للرب وحده، لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه . وبواسطة خلاص الرب صارت البركة على كل شعبه . الليلويا .

ثانيا ـ المزمور لسان حال الشهداء

الشهداء هم جسد الكنيسة « أنتم جسد المسيح وأعضاؤه » كو ١ : ١٢-٢٧. والكنيسة تأسست وسط العواصف الاضطهادية فى العالم كله لذلك فهى تقول « يا رب لماذا كثر الذين يحزنونى » ، ونالت الكنيسة هزءاً وتعييراً وقالوا لها « ليس خلاص بإلهه » . ولكن الشهداء يهتفون إن الرب ناصرهم لأن رأسهم انتصر ، ولذلك يصح لهم أن يقولوا أنا اضطجعت ونمت ثم استيقظت كما يقول الرسول « لأنه أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات » أف ٢ : ٦ . فالمسيح رأس الكنيسة « هو مجدها ورافع رأسها » « هو البداءة والبكر من الأموات » كو ١ : ١٨ . والشهداء تميزوا بالشجاعة لذلك كانوا يقولون « فلا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بنا، لأن أسنان الخطاة ـ التى هى رؤساء وسلاطين وولاة الظلمة قد سحقها الرب بالصليب. لذلك هم يقولون « للرب الخلاص وعلى شعبه بركته » .

ثالثا ـ المزمور لسان حال داود فى هروبه أمام ابنه ابشالوم

بعد سقوط داود فى الخطية وقتله لأوريا الحثى ـ حلت المصائب فى بيته ، فارتكب أمنون ابنه الخطية مع أخته ، وتلطخت يدى أبشالوم بدم أخيه وقتله ، ثم تمرد على أبيه . والتفت الجموع

حول أبشالوم ضد داود ، وأهان الكثيرون داود ، منهم شمعى ابن جيرا البنيامينى الذى كان يسب داود وقام كثيرون بمشورات باطلة على داود كمشورة أخيتوفل الشرير ٢ صم ١٥ . وفى وسط كل هذه الضيقات كان أبشالوم موضوع سلام داود رغم كثرة شروره ، حتى أن داود عندما سمع خبر موته ندبه قائلا « يا ابنى أبشالوم يا ليتنى مت عوضاً عنك » ٢ صم ١٨ : ٣٣ .

رابعاً – الزمور لسان حال النفس المجاهدة ضد الخطية

فالنفس فى جهادها الروحى يكثر عليها أعداؤها الروحيون « لماذا كثر الذين يحزنونى » .

فالذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى فى المسيح يسوع يضطهدون ٢ تى ٣ : ١٢ . ويكثر عليهم أعداؤهم المنظورين وغير المنظورين . وعندما يفشلون فى احتفاظ النفس فى الخطية ، وعندما يرون اصرارها على السير فى طريق المسيح وأنها كثيراً ما تعثر ، يحاربونها باليأس والفشل قائلين « ليس خلاص بإلهه » .

والله يسمح بهذه الحروب لينفعنا أكثر للتوبة وليزيد اتكالنا عليه وإيماننا به فنقول « فأنت يا رب أنت هو ناصرى مجدى ورافع رأسى » .

أنت يا رب هو ناصرى ، فالنصرة للرب ليتعلم الانسان المتكبر أن الله هو مجده ولا يفتخر بذاته بل من افتخر فليفتخر بالرب . إذاً فلنتعلم التواضع لأن الرب هو ناصرنا . « قوتى وتسبحتى هو الرب قد صار لى خلاصاً » خر ١٥ ، مز ١١٧ . الله ينصر أولاً – ثم يمجد ثانياً – وأخيراً يرفع الرأس . ورأس النفس هو الفكر والعقل الذى المتأمل فى الإلهيات . فالذى ينصره الله ويمجده ، عليه دائماً بقوة الله أن يرفع رأسه عن التفكير فى الأمور العالمية ، ويرفع رأسه نحو الله ، أى يفكر فى السماويات .

وأيضاً الله يسمح بهذه الحروب لتزيد صلتنا الروحية بالله فنصلى بعمق وصراخ ونقول « بصوتى إلى الرب صرخت » . إن صراخ النفس صراخ داخلى فى الخادع ، إنه صراخ لرب وليس للناس ، إنه صراخ روحى من أجل الأمور الروحية .

وعندما يستجيب لنا الله يزداد إيماننا فى الصلاة ويخزى أعداؤنا ونقول « فاستجاب لى من جبل قدسه » . وجبل قدس الرب هو مكان سكناه « أساساته فى الجبال المقدسة » فأين يسكن الله ؟ . يسكن الله فى كنيسته لأن الرب أحب أبواب صهيون أرضيها مسكناً له ، يسكن فى الجبال الشامخة – فى القديسين الذين تتشفع بهم ونسبحوا الله فى جميع قديسيه » .

أخيراً يرجع داود فيجمل هذه المراحل الروحية التى تمر بها النفس المجاهدة ـ يجملها فى سر التوبة .

التوبة فى الجهاد الروحى

« انا اضطجعت ونمت ثم استيقظت » .

وهذا التعبير عينه هو ما قاله الإبن الضال حين قال « أقوم وأرجع إلى أبى » لو ١٥ .

فالانسان يبدأ أولا بالتراخى والكسل « أنا اضطجعت » ، وبعد ذلك السقوط « ونمت » ، ثم التوبة « ثم استيقظت » فالرسول القديس بولس يقول « استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح » أف ٥ : ١٤ ، ١ تس ٥ : ٦ . وسليمان الحكيم يحذر النفس المجاهدة من الكسل والتراخى (الاضطجاع) والسقوط (النوم) « لا تعط عينك نوماً ولا أجفانك نعاساً . نج نفسك كالظبى من اليد كالعصفور من يد الصياد » أم ٦ : ٤ ، ٥ . فالمسيحى المجاهد له عدو صياد ينصب له الفخاخ ، لذلك ينبهنا الحكيم ويقول لا تعطى عينك نوماً ولا أجفانك نعاساً ، فالحياة الروحية تحتاج إلى الجهاد . أما الشخص الكسلان فهو جاهل فى خلاص نفسه ،

وفقير فى اقتناء الفضائل الروحية « العذارى الجاهلات الفقراء من الزيت » مت ٢٥ . كقول الحكيم « إلى متى تنام أيها الكسلان متى تنهض من نومك . قليل نوم بعد قليل نعاس ... فيأتى فقرك كساع وعوزك كغاز » أم ٦ : ١٠ ، ١١ .

فالجهاد الروحى ليس فقط بالقيام من الخطية بل أيضاً بالايجابية فى الجهاد أى اقتناء الفضائل ـ أى ثمار التوبة .

الشجاعة فى الجهاد الروحى

الشجاعة فى الجهاد الروحى أمر هام جداً مبنى على الايمان ، فيوحنا الرائى يحذر الخائفين من دخول الملكوت « وأما الخائفين فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى » رؤ ٢١ : ٨ . لذلك يقول داود النبى « فلا أخاف من ربوات الجموع المحيطين بى . القائمين علىّ » إنها جموع الشياطين ـ جموع الرذائل . لم يخف يوسف من امرأة فوطيفار بل خاف من الله . لم يخف القديس أنطونيوس من الشياطين بل هزمهم بعلامة الصليب . لم تخف القديسة دميانه من بطش الوالى بل خافت هلاك والدها .

« أسنان الخطاة سحقتها الرب الخلاص وعلى شعبه بركته »

ما هى أسنان الخطاة إلا شرهم كقول الرسول « إن كنتم تنهشون وتأكلون بعضكم » غل ٥ : ١٥ . ما هى أسنان الخطاة إلا أسنان رؤساء الشر فى العالم الذين يزقون طهارة أبنائنا وبناتنا بأسنانهم المترسة ، التى هى أسنان إبليس الأسد الذى يجـــول ملتمساً من يفترسه .

أخيراً : « للرب الخلاص وعلى شعبه بركته » اليلويا .

✝ ✝ ✝

المزمور الرابع

هذا المزمور معنون بكلمة للتهام ، لأن داود كتبه عندما أتم الرب نصرته على أعدائه . . . والناحية الثانية أن النصرة لا تتم بكمالها إلا فى خلاص ربنا يسوع المسيح الذى أسكننا على الرجاء « لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن » رو ١٠ : ٤ من أجل هذا نضطجع بالسلامة لأنه أسكننا على الرجاء .

✝ « اذا دعوت استجبت لى يا الله برى » (١)

إن المرنم من فرط ثقته وإيمانه فهو متأكد من استجابة الصلاة لذلك يتكلم بأسلوب الماضى فيقول استجبت لى ... هذا هو الايمان الذى أعطاه لنا الرب يسوع « كل ما تطلبونه فى الصلاة بإيمان تنالونه » . ثم يكمل قائلا « فى الشدة فرجت عنى » . والله دائماً يعطى مع التجربة المنفذ ، وإن كان يتأخر أحياناً « لأن الضيق ينشىء صبراً والصبر فليكن له عمل تام لكى تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين فى شىء » يع ١ : ٤ . فهكذا يفرج الرب عنا فى الضيق بأن يهبنا بركات روحية عظيمة جداً لا يمكن الحصول عليها إلا فى الضيق . فيعطى التوبة والدموع والصلاة فى وسط التجربة « إبلنى يا رب وجربنى . نق قلبى وكليتى ، لأن رحمتك أمام عينى هى »

مز ٢٥ : ٢ . وفى التجربة نتعلم أعماق كلمات الله « خير لى أنك أذللتنى لكى أتعلم وصاياك » ١١٧ . والتجربة هى الوسيلة لانسكاب محبة الله فى قلوبنا بالروح القدس (رو ٥ : ٥) . . أليس كل هذا فرج فى وسط الشدة .

لقد صرخ داود فى وسط الشدة لكى لا يتكل على قوته بل على الله الذى يقيم من الأموات « إننا تثقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً لكن كان لنا فى أنفسنا حكم الموت لكى لا نكون متكلين على أنفسنا بل على الله الذى يقيم من الأموات » ٢ كو ١ : ٩ .

✝ « . . . يا إله برى » .

الانسان فى ذاته ليس فيه بر ، لكن الله بعد ما فدانا أعطانا بره « متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ... لاظهار بره فى الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الايمان بيسوع المسيح » رو ٣ : ٢١ - ٢٦ . وهكذا نرى أن البر مصدره الله . فداود عندما يقول يا إله برى فهو يعترف بأن كل ما فيه من بر مصدره الله ، أو أن الله هو إله بره ومصدره . من أجل ذلك يصرخ إلى إله بره ليتراءف عليه ويرحمه ويسمع صلاته « تراءف علىّ يا رب واسمع صلاتى » .

✝ « يا بنى البشر حتى متى تثقل قلوبكم . لماذا تحبون الباطل وتبتغون الكذب » (٢) .

والنبى هنا يتعجب قائلا لماذا ؟ أى لماذا وأنتم بشر على صورة الله تحبون الباطل وتبتغون الكذب . إنهم لا يفعلون الباطل بل يحبون أباطيل العالم ، وهم لا يكذبون ولكنهم يبتغون أباطيل وهموم العالم الكاذبة ، ويتركون الإله الحى مصدر كل خير . فانظر كيف تنازل الإنسان عن كرامته وحوّل بر الله ومجده فيه إلى عار . لقد ثقل قلب الإنسان بالخمر والسكر وهموم الحياة (لو ٢١ : ٣٤) . وتمسك بأباطيل العالم التى لا تعدو أن تكون سراباً . وهنا يضع داود نفسه مثلا على أمانة الله وبره ضد الذين يكذبون وينكرون خيرات الله فيقول « اعلموا أن الرب قد جعله صفيه عجباً . الرب يستجيب لى إذا ما صرخت إليه (٣) . فكل من تمسك بالله سيجعله الله عجباً ويحوطه بنعمته وبركاته .

✝ « اغضبوا ولا تخطئوا الذى تقولونه فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم » (٤) .

هذه نصيحة النبى فى العهد القديم أنه فى حالة غضب الانسان لا يجب عليه أن ينفعل لدرجة الخطأ ، بل عليه أن يتوب ويندم فى فى مضجعه . ولكن فى العهد الجديد يقول « تعلموا منى لأنى وديع

ومتواضع القلب » . . . . وفى العهد الجديد لسنا نحن الأحياء بل المسيح هو الحى فينا ، والروح القدس هو العامل فينا ... ويجب أن تظهر ثمار الروح القدس فينا « طول أناة ، لطف ... وداعة ، تعفف » غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣ . وحتى لو وقع الإنسان فى الغضب من ضعفه فعليه « أن لا يخطىء ولا تغرب الشمس على غيظه » أف ٤ : ٢٦ . وهناك مجال للغضب للحق ولكن يحذر لئلا يقع الانسان فى الخطأ ، فلقد غضب بطرس الرسول على سيمون الساحر ، وبولس على عليم الساحر الذى كان يفسد طرق الله المستقيمة ولكن بدون فقدانه السلام الداخلى . وهناك غضب الانسان مع نفسه من أجل خطاياه ، فالذى يريد أن يخلص نفسه يهلكها » مر ٨ : ٣٥ .

✝ **« ... الذى تقولونه فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم اذبحوا ذبيحة البر وتوكلوا على الرب »** (٥،٤) .

إن النبى هنا يؤكد ضرورة محاسبة النفس فى المخدع ، وهذا ما تؤكده صلاة النوم « توبى يانفسى مادمت فى الأرض ساكنة ... تضرعى إلى المخلص بالتوبة قائلة إرحمنى وخلصنى ... واتخذ صورة العشار قارعاً صدرى قائلا اللهم اغفر لى فإنى خاطىء » ومحاسبة النفس ليست هى مجرد سرد للأخطاء ولكن هى وقفة ندم أمام صليب الذى مات لأجل خطاياى ... لذلك يقول اندموا عليه

فى مضاجعكم وهكذا حوّل النبى لنا السرير إلى فترة تأمل وندم « أعوّم كل ليلة سريرى وبدموعى أبل فراشى » مز ٦ . إن الفراش الذى أحياناً يكون فترة للقلق والسرحان فيما لايرضى الله وفى هموم الحياة أصبح اليوم مكاناً مقدساً للدموع والندم والسلام الداخلى . آمين .

ثم يكمل النبى قائلا « إذبحوا ذبيحة البر وتوكلوا على الرب » فالذبيحة لله روح منسحق ـ قلب منكسر ومتواضع (مز ٥٠) ـ إنها ذبيحة المخدع والمضطجع ذبيحة انسحاق واعتراف ببر الله وفضله ، وهى بعد الاعتراف ذبيحة شكر للذى فدانى وخلصنى وقبل توبتى وغسلنى بدمه من خطاياى ... هذه هى ذبيحة البر . وهى ذبيحة التسليم والاتكال على الله بعد الشكر ، لذلك يكمل قائلا توكلوا على الرب . والانسحاق والاعتراف بفضل الله والشكر والاتكال على الله ... كل هذه ينبغى أن تقدم فى شكل ذبيحة ... أى أنها تقديم للذات حتى الذبح « من أجلك نمات كل النهار قد حسبنا كغنم للذبح » رو ٨ : ٣٦ .

✝ **« كثيرون يقولون من يرينا الخيرات قد اضاء علينا نور وجهك يارب . اعطيت سرورا لقلبى . قد كثروا من غرحنطتهم وخمرهم وزيتهم »** (٧،٦) .

هناك المتذمرون الذين يجحدون نعمة الله فيقـــولون أين خيرات الرب ؟

وهناك اليائسون الذين طلبوا ولم يأخـــذوا لأنهم طلبوا لينفقوا فى لذاتهم . أنهم مساكين مع أن الله قد أشبعهم خيرات كثيرة .

(ا) قد كثروا من ثمر الحنطة والخمر والزيت ولكنهم ماديون لايشبعون ولا تشبع بطونهم فهم يطلبون أكثر ويقولون من يرينا خيرات الرب .

(ب) ولقد أشبع الله الانسان روحياً من ثمر الحنطة (جسده المقدس ـ الخبز الحى النازل من السماء (يو ٦ : ٥١) ، ومن الخمر (دمه المقدس) ومن الزيت (من الروح القدس الذى لقناه بمسحة الدهن المقدس ـ الميرون ـ مسحت بالدهن رأسى) مز ٢٣ : ٥ . هذه البركات روحية عظيمة لايراها الانسان المادى فيقول أين هى خيرات الرب .

(ج) قد أضاء علينا نور وجهك يارب : ولكن هذا لايهم الانسان المادى بل الروحى فالله ظهر لنا فى الجسد وأنار لنا الحياة وقال أنا نور العالم. إن موسى بعد أن مكث مع الله أربعين

يوماً أضاء وجهه بلمعان . « والله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة هو الذى أشرق فى قلوبنا لانارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح » ٢ كو ٤ : ٦ . والله أنار علينا بوجهه فارتسم علينا نور وجهه كما ترسم صورة الملك على العملة . كل هذه الخيرات وهبت لنا فى شخص ربنا يسوع المسيح ، والانسان المادى يقول من يرينا الخـــيرات !!

أخـــيراً :

بالسلامة اضطجع أيضاً وأنام لأنك أنت وحدك أسكنتنى على الرجاء هليلويا (٨).

والآن يا إلهى بعد أن جعلت صفيك عجباً ،

واستجبت لى وفرجت عنى ،

وقبلت توبتى وندمى فى مضطجعى ،

وغسلتنى من خطاياى ،

وقبلت ذبيحة برى يا إله برى ،

وارتسم على نور وجهك .

وأشبعتنى سروراً من حنطة جسدك وخمرك وزيت روحك

الآن اضطجع وأنام (أموت) لأنك أسكنتنى على رجاء القيامة والبعث والخلود معك عن يمين الآب ، وأقول فى رجاء مع سمعان الشيخ « الآن يا سيد تطلق عبدك بسلام لأن عينى قد أبصرتا خلاصك » إن رجاؤنا يكمل فى قيامة الرب يسوع الذى اضطجع ونام ، وكان رقاده فى القبر كالنائم لأنه نام بذاته فى ثالث يوم ـ وهكذا تصبح نهاية المزمور نبوة واضحة عن قيامة الرب .

✝ ✝ ✝

المزمور الخامس

« مزمور للتمام من أجل الوراثة »

✝ الوراثة هى الكنيسة ، وميراثها هو الرب يسوع ذاته فى أبدية خالدة وهى تلتصق دائماً به لأنه هو نصيبها « الرب نصيب قسمتى وكأسى » مز ١٦ : ٥ . وقال الرب « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » والأرض المقصود بها السماء كقوله « أنت نصيبى فى أرض الأحياء » مز١٤٢ : ٥ . فميراثنا هو الرب ، ومن ناحية أخرى فالكنيسة هى ميراث الرب « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثك » مز ٢ : ٨ . فهذا المزمور هو صوت الكنيسة المدعوة للميراث لتصير بالتالى فى ملكية الرب أى ميراثاً له . أما متى يتم هذا الميراث فمكتوب فى عنوان المزمور للتمام ـ أى فى تمام الجهاد وكمال عمل الله .

✝ ومن ناحية أخرى فهذا المزمور يرمز للنفس المؤمنة ، أو الكنيسة المجاهدة فى بحر العالم المضطرب ، فى وسط الأشرار ، تصلى صلاة صامتة بصراخ من القلب ، وبرجاء فى الغد (فى المسيح) وبدخول لبيت الرب وبجهاد روحى ضد قوى الشر لأنها فى آخر الأمر ستكلل بسلاح المسرة ـ ويتم الميراث بتمام الجهاد وكمال نعمة الله .

أولا – النفس البشرية أو الكنيسة تصلى

✝ الصلاة تقول : يا رب – يا إلهى – ثالوث مقدس ، إله واحد له نصلى .

✝ الوقوف للصلاة هى احساس أننا فى ملكية الله من أجل ذلك نقول له يا ملكى .

✝ الصلاة عبارة عن صراخ نفس وسط عالم شرير مضطرب ، وهى تعلم أن رجاءها هو فى الرب وحده . والصراخ هو نشاط القلب والذهن وليس ارتفاع الصوت كقول النبى « من الأعماق صرخت إليك يا رب » .

✝ صلاة كلها رجاء . « بالغداة تسمع صوتى » . احساس عميق بأن هذا البحر المظلم الذى نعيش فيه الآن (العالم) سنجتازه فى الغداة إلى أبدية سعيدة .

✝ إن ماضينا المظلم بخطايانا ، يبدده الرجاء فى غد مشرق نقف فيه أمام الله ويسمع صوتنا . فعندما يمضى ليل خطيتى ويذهب الظلام الذى جلبته على نفسى ، حينئذ تسمع صوتى .

✝ فى المساء كان فصح اليهود ، وفى المساء قبضوا على المسيح ، وفى فجر الأحد – فى الغداه ، كانت قيامة ربنا فأقامنا معه .

✝ بالأمس كانت شريعة اليهود ، وفى الغداة أشرقت شريعة العهد الجديد .

✝ فى الغداة أقف أمامك وترانى . فبالأمس كنت منطرحاً فى الأمور الأرضية العالمية وفى الغداة أقوم وأرجع إلى أبى وأقف أمامك وترانى .

✝ يا رب إنك ترانى ، وهذا هو رجائى إنك تلاحظ أولادك وترافقهم وتراهم .

✝ الصلاة هى الوقوف أمام الله ، ومن هو المستحق لذلك ؟ لا يوجد إنسان واحد – ولكننا بكثرة رحمته ندخل هيكله المقدس .

✝ أدخل بيتك وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك :

✝ السجود هو نوع من الصلاة يعنى الانسحاق – والشكر وطلب الرحمة .

✝ السجود بخوف من الله يعنى الخشوع والاحترام الذى يليق ببيت الله .

✝ هيكل الله هو الكنيسة ، « وهو أجسادنا ونفوسنا » ١ كو ٣ : ١٧ .

وهناك هيكل متحرك فى الطريق تقدم عليه الذبائح « ما فعلتموه بأحد إخوتى الأصاغر فبى قد فعلتم » مت ٢٥ : ٤٠ .

ثانيا — وعاية الله للكنيسة أثناء سيرها فى الطريق

✝ «سهل أمامى طريقك» (٨) - كلمة الطريق أطلقت على كل تابع وسائر فى طريق الرب يسوع كقول سفر الأعمال « . . . حتى إذا وجد انساناً فى الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم » أع ٩ : ٢ .

✝ والسير فى طريق الرب ينبغى أن يكون بلا توقف ، ولكن عدو الخير ينصب لنا فخاً فى طريقنا ، من أجل ذلك نصرخ ونقول « سهل أمامى طريقك » وأطفىء جميع سهام إبليس الملتهبة ناراً .

✝ « واهدنى بعدلك » فالطريق صعب ولكن عندما أطلب ارشاد روحك القدوس فإنك تهدينى بعدلك. فالسير فى الطريق بدون هدايتك ، ستكون نهايته التوهان والضلال والانحراف والسقوط والغرور والكبرياء . يا رب إنى عاجز عن معرفة الطريق فاهدنى بعدلك وبحكمتك وبروح قدسك .

✝ « اهدنى بعدلك » لأنى لم أصل بعد ، لكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله قد أدركنى المسيح .

✝ « اهدنى بعدلك » من أجل أعدائى لأنهم يقولون أين إلههم ، ويتهكمون علىّ ، ويجحدون ايمانى بالثالوث الأقدس ، ويعثرون فى صليبك ...

✝ « اهدنى بعدلك » لأنه ليس فى أفواههم صدق ، باطل هو قلبهم فهم يضمرون لى الشر ، حلقهم قبر مفتوح ، لسانهم كالقبور المبيضة المملوءة من كل رائحة نتنة ، وأفواههم تشبه فتحة فى القبر تخرج منها كل الألفاظ القبيحة والتهم والشتائم ... الخ .

ثالثا — غضب الله على الأشرار

✝ لا يسكنون مع الله ،

✝ لا يثبت مخالفو الناموس أمام عينيه ،

✝ الله يبغض فاعلى الاثم (الذين صلبوا المسيح ، والذين يصلبونه كل يوم لأنفسهم .

✝ ويهلك الناطقين بالكذب (الهراطقة - أصحاب البدع والمخالفين لعقائد الكنيسة) ،

✝ ويرذل رجل الدماء والغاش ،

✝ ويسقطهم فى جميع مؤامراتهم ويدينهم ويستأصلهم .

رابعا – الله يكمل الكنيسة المجاهدة (او النفس المجاهدة)

١ – فرح وسرور إلى الأبد : لكل نفس اتكلت عليه .

٢ – حلول الله فى كل نفس جاهدت معه : تحل فينا وتكون ميراثنا ، الميراث الذى تسعى له الكنيسة الذى هو أنت يا الله .

٣ – افتخار باسم الرب : كل نفس أحبت اسمك يارب رغم مضايقات العالم سوف يكون اسمك فخرها إلى الأبد لأنه سيكتب عليهـــا .

٤ – بركة للصديق : بركة دائمة ليس كبركات العالم المؤقتة .

٥ – اكليل للمنتصرين : هؤلاء الذين حملوا ترسك وجاهدوا بسرور أخيراً كللتهم بأكاليل المجد .

✝ ✝ ✝

المزمور السادس

(فى التمام لاجل الثامن)

هو أحد مزامير التوبة السبعة التى لداود النبى وهى (مز ٦ ، ٣٢ ، ٣٨ ، ٥١ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٤٣) .

✝ **فى التمام لاجل الثامن**

اليوم الثامن هويوم الختان (رمز المعمودية والولادة الجديدة) فدموع التوبة معمودية ثانية كان يرمز لها بالختان فى اليوم الثامن – كذلك قيامة ربنا كانت فى اليوم الثامن (والمعمودية والتوبة هما موت وقيامة مع المسيح) فبركات التوبة يرمزلها ببركات اليوم الثامن . أما قوله للتمام فلأن التوبة تؤدى إلى تمام خلاص الانسان وقيامته مع المسيح وهو أتم عمل صنعه الله لنا « إذ أقامنا معه » أف ٢ : ٦ .

✝ ✝ ✝

التـــوبـة

التوبة هى اختبار مسيحى عميق ، هى الرجوع لحضن الآب « أقوم وأرجع إلى أبى » لو ١٥ . وهذا المزمور يشرح لنا بعمق كيف رجع داود إلى الله بعد أن عوّم سريره بدموعه . إن هذا المزمور عندما ندرسه بروح الصلاة العميقة يوصلنا إلى بركات

التوبة العظيمة - أى بركات الرجوع للآب - أى بركات القيامة مع المسيح. إن عظمة داود ليست فقط فى حيانه وصلواته وقوته قبل السقوط ، ولكن داود ازداد عمقاً وقـــوة بعد التوبة وبعد الدموع . وإن كان داود قد نجس فراشه ليلة واحدة ، لكنه عوّم سريره بدموعه كل ليلة . . . ما أجملك أيتها التوبة - أنت تخلقين من الزناة بتوليين وترجعين نفسى إلى موضع راحتها . . . إلى حضن الآب . إن ذراعى المسيح على الصليب مفتوحة تنتظر أن أرتمى بينها فتحضننى لكى لا أنفصل عنها أبداً . والتوبة يا ربى يسوع هى نعمة من عندك ، فأنت نزلت من أجلى - وأنت أرسلت روحك ليبكتنى على الخطية . . . يارب توّبنى فأتوب . . . يارب أعطنى دموع داود . . . وبكاء بطرس . . . اغسلنى فأبيض أكثر من الثلج .

دوافع التوبة فى المزمور

١ - « لا تبكتنى بغضبك ولا تؤدبنى برجزك » (١)

الرسول يدعونا لقبول تأديب الرب « يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخر إذا وبخك لأن الذى يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله . إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين . فأى ابن لا يؤدبه أبوه . ولكن إن كنتم بلا تأديب . . . فأنتم نغول

لا بنون . . . كل تأديب فى الحاضر لا يرى أنه للفرح بل للحزن . وأما أخيراً فيعطى الذين يتدربون به ثمر بر للسلام » عب ١٢ : ٥ - ١١ .

إذاً لماذا يقول داود لا تؤدبنى برجزك ؟

وأشعيا النبى يقول « أحمدك يا رب لأنك غضبت علىّ ، ارتد غضبك فتعزينى » أش ١٢ : ١ . إذاً لماذا يقول داود لا تبكتنى بغضبـــك ؟

ومعلمنا يعقوب الرسول يقول « طوبى للرجل الذى يحتمل التجربة لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة » يع ١ : ١٢ .

وداود نفسه يقول « طوبى للرجل الذى تؤدبه يارب . وتعلمه من شريعتك لتريحه فى أيام الشر » ٩٤ : ١٢ ، ١٣ .

والحقيقة إن ما يخشاه داود هو أن يؤدبه الرب برجزه ، وبغضبه . والرجز والغضب هما صفات العقاب فى الدينونة الأبدية . . . بالحق مخيف هو الوقوع فى يدى الله . فداود لا يرفض تأديب الرب - ولكن هو يحس بجرم خطيته (قتل وزنى) ويخشى تخلى مراحم الله عنه « روحك القدوس لا تنزعه عنى » .

فداود يطلب تأديب الرب له كأب وليس كديان .

هناك تأكيدات فى الإنجيل، أن الباب سيغلق فجأة، وسيكون صراخ فى الخارج « ربنا ربنا افتح لنا فيقول إنى لا أعرفكن » مت ٢٥ ، وسيكون بكاء وصرير أسنان فتوبى يا نفسى ما دمت فى الأرض ساكنة. وأنت يا إلهى لا تصرف وجهك عنى ولا تؤدبنى برجزك فى الدينونة الأخيرة .

لذلك قال فى الآية رقم (٥) « ليس فى الموت من يذكرك ولا فى الجحيم من يعترف لك » فهو بهذا يؤكد أنه يخشى الدينونة الأخيرة - وأن التوبة هى فى الزمان الحاضر فقط لنوال مراحم الله.

٢ - التذلل والانسحاق « ارحمنى يا رب فإنى ضعيف يارب فإن عظامى قد اضطربت » (٢) .

✝ الخطية جعلت داود الملك يشعر بضعفه أمام شهوة عابرة، جعلت داود الراعى الوديع الساهر على رعيته يتحول إلى داود الملك الذى أصبح ذئباً مفترساً يغتصب المرأة ويقتل الرجل البرىء. ما أضعفك يا نفسى . . . كم مرة تقولين إنى قوية لا أسقط . ألا تعلمين أن كل قتلى الخطية أقوياء (أم ٧ : ٢٦) من هو قائم ليحذر لئلا يسقط . . . عندما أقف أمامك يا رب أفرغ صدرى وأقول « اللهم ارحمنى أنا الخاطىء » لو ١٨ : ١٣. عندما أقول مع الكنيسة

كيرياليسون يا رب ارحم ٤١ مرة . . . أقولها من أعماق قلب خاطىء ضعيف ومن لسان عظامه مضطربة ، أقول لك « من الأعماق صرخت إليك يا رب » ١٢٩ . أقول لك مع بولس الرسول « ويحى أنا الانسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت » رو ٧ : ٢٤ .

✝ يقول القديس ذهبى الفم « ليس كل من يقول ارحمنى يارب ويعترف بضعف الجسد ينال رحمة ، بل الذى يستحق الرحمة، والذى يستحق الرحمة هو من تعفف عن السيئات وقشف ذاته بأعمال التوبة » فرحمة الله تستدر بالتذلل نظير الجسارة فى فعل الخطية أمام يسوع المصلوب لأجلنا .

إن التوبة بعيدة عن الشخص المتكبر الذى يحس ببره الذاتى، القوى فى عينى نفسه .

٣ - الانتظار والصبر: « وأنت يارب فإلى متى » (٣)

يعلق القديس أوغسطينوس على هذه الآية بقوله « هذه النفس المجاهدة للشفاء من أمراضها محجوزة بأمر الطبيب حتى تحس بخطورة قذف نفسها مرة أخرى فى حمأة الخطية ».

والحقيقة أن داود عندما قال « يا رب إلى متى » كان قد وصل

لدرجة كبيرة من الذل والمسكنة والتوبة الحقيقية - وكأنه يقول لله أنت من عادتك الاستجابة السريعة كقولك « ويكون إني قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون أنا أسمع » أش ٦٥: ٢٤. .. إذاً يا رب لماذا لا تستجيب بسرعة ؟

يقول أنثيموس بطريرك أورشليم أن الله يؤخر الاستجابة للتائبين .

(ا) لكي يزداد صلاحهم في الفضيلة والانسحاق والصلاة .

(ب) ولكي يتقنوا توبتهم ويتمكنوا منها ... ولا ينتكسوا ثانية .

(ج) لكي يظهر صبرهم ... صبرهم في الرجاء - في الصلاة - في الاحتمال - في كل فضيلة لأن الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص .

٤ - الرجاء في الله وحده « عد ونج نفسي وخلصني من أجل رحمتك » (٤) فالتوبة في المسيحية ليست البعد عن الخطية ، ولكن الرجوع إلى حضن الآب . والحقيقة إن الله هو الذي يرجع إلينا « هأنذا واقف وأقرع على الباب » لذلك فالتوبة هي الامتلاء من روح الله ، هي الصلاة (الصلة) المستمرة مع الله ، هي الشركة

المستمرة مع الله - هي دخول الله في كل نواحي الحياة - هي تسليم الحياة كلها لله .

« وخلصني من أجل رحمتك » ... ليس من أجل استحقاقي ، ولا من أجل دموعي بل من أجل رحمتك . ليس من أجل فضيلة في بل من أجل رحمتك ، ليس من أجل صلاح في بل من أجل رحمتك وحدك ... خلصني من أجل رحمتك يا رب .

٥ - الدموع المستمرة : « ... تعبت في تنهدي - أعوم كل ليلة سريري بدموعي أبل فراشي - تمكرت من الغضب عيني ... وشاخت من سائر أعدائي » (٦ ، ٧) .

يقول القديس أوغسطينوس : تعبت في الماضي ، وأعوم كل ليلة في المستقبل . فالتوبة عملية مستمرة تخلصني من تعب الماضي وتنهداته ثم يكمل قائلا « لقد قال داود أعوم وليس أبل ، لأن البلل شيء من الخارج ، أما كلمة أعوم فتعني تغطية الشيء بالماء حتى يدخل في كل أجزائه . وهكذا النفس عندما تبلل بالدموع يعني أنها تبكي من الأعماق بتوبة صادقة » .

ويقول أنثيموس إن داود في ليلة واحدة دنس فراشه ، فصار يغسله بدموعه كل ليلة طول أمد حياته . والحقيقة إن هذه

الدموع المستمرة هى التى حفظت داود فى بركات التوبة . ويقول أيضاً انه قال بالليـــل لأنه كان ملكاً مشغولا بأمور كثيرة فى النهار لذلك جعل الليل هو وقت الراحة والنوم . . . وقت التوبة والدمـــوع .

ويقول آخر « التائبون الحقيقيون يبكون فى مخادعهم ، بكى داود ليلا حيث كان ينفرد بقلبه وليس عين تراه تشهد على حزنه إلا عين ذاك الذى كله عيون ، وبكى بطرس وحده أمام عين ذاك الذى نظر إليه .

✝ ✝ ✝

المزمور السابع

شجوية لداود غناها للرب بسبب كلام كوش البنيامينى (حوشاى الاركى)

لقد كانت أكبر تجربة فى حياة داود ، هى أن إبنه أبشالوم الذى خرج من صلبه - خرج من طاعته وابتدأ يحاربه . وكان من الملازمين لأبشالوم أخيتوفل الذى كان يشير عليه بقتل أبيه . ولكن الله سخر حوشاى الاركى (وهو صديق داود) ليكون بجانب أبشالوم ويبدد مشورة أخيتوفل وينقل أخبارها سراً إلى داود . وعند علم أخيتوفل أن الله بدد مشورته وأفسدها مضى وقتل نفسه . من أجل ذلك قال داود فى آخر المزمور « كراجياً . حفره فسقط فى الهوة التى صنع » . وقد كان حوشاى الاركى سبباً فى نجاة داود من بطش ابنه أبشالوم ٢ صم ١٥ . من أجل هذه الأحداث ترنم داود للرب مبيناً عظم اتكاله على الله . وكعادة داود النبى نجد فى المزمور معنيين : الأول : نبوى عن المسيح ، والثانى : مباشر عن أحداث أبشالوم وانقاذ الرب له منها ووقـــوع أخيتوفل فى الحفرة التى حفرها .

✝ ✝ ✝

المعنى النبوى

داود رمز للسيد المسيح ، وأبشالوم (معناه سلام الآب)

رمز ليهوذا الاسخريوطى، وكما كان أبشالوم موضوع حب داود كذلك كان يهوذا موضوع حب المسيح. وأبشالوم ويهوذا كليهما خانا أباهما وسيدهما لأجل السلطة المادية الزمنية.

أما اسم أخيتوفل فيعنى بالعربية «دمار الأخ»، والسيد المسيح كان يدعو التلاميذ إخوة «اذهبى وقولى لاخوتى» فأخيتوفل من هذه الناحية يرمز ليهوذا الذى خان سيده وأخيراً شنق نفسه.

التنبؤ عن موت الرب وقيامته وصعوده للسموات ودينونته للشعوب: «قم يا رب برجزك وارتفع (ارتفع على الصليب) على أقاصى أعدائك. واستيقظ (قم من الأموات) يا ربى وإلهى بالأمر الذى أوصيت به. وتجمع الشعوب حولك. وفى شأن هذا ارجع إلى العلا (إشارة للصعود للسماء) الرب يدين الشعوب» «الآب أعطى الحكم كله للابن» آية ٦ - ٩.

أما اسم كوش فيعنى «الصمت»، وهكذا تم خلاص داود فى صمت، كذلك تجسد ربنا وصلبه وموته وقيامته وصعوده كلها أسرار مخفية عن العالم ومعلنة لأولاد الله فى صمت.

المعنى الباطن

لقد كانت تجربة داود فى حربه مع ابنه أبشالوم أشد من أن

يحتملها قلب داود المحب. قلب داود الذى أحب أعدائه وبكى لأجلهم. الآن داود يقف أمام ابنه أبشالوم «الذى معناه سلام الآب» - أبشالوم موضوع حبه وأمله ورجائه، ما أصعب أن تأتى الخيانة من ابنه فلذة كبده - إنها بعينها خيانة يهوذا للسيد المسيح.

«يا رب طيك توكلت خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجنى لئلا يخطف مثل الأسد نفسى حيث لا منقذ ولا مخلص» (١، ٢).

يبدأ داود بالاتكال على الله والتسليم بثقة لكل أحكامه.

يطلب داود الخلاص من الله ولكنه لا يطلب الانتقام. إن داود يطلب خلاص نفسه والانتقام من الشر وليس من الانسان الشرير كما يقول فى الآية (١١، ١٠) «ليفنى شر الخطاة». إن داود يتمثل بمخلصنا الرب يسوع الذى أحب الخطاة وأدان الخطية.

يتكلم داود بلغة الجمع «خلصنى من كل ...» ثم يكمل بأسلوب المفرد «لئلا يخطف مثل الأسد نفسى ...». والقديس باسيليوس يرى أن الذين طاردوا داود هم كثيرون جداً ولكن واحد هو الذى كان يحركهم - هو ابليس. وبهذا نفهم قول بطرس الرسول «ابليس عدوكم يجول كأسد زائر ...» (١بط ٥: ٨). وفى نفس المزمور

يقول لئلا يخطف مثل الأسد نفسى فإبليس اليوم يقتنص نفوس أولاد الله كالأسد المفترس .

« ربى وإلهى إن كنت صنعت هذا . وإن كان ظلم فى يدى أو جازيت الذين جازونى بالشر . أقع إذاً من أعدائى خائباً يضطهد العدو نفسى فيدركها . ويدوس فى الأرض حياتى ويحل فى التراب مجدى » (٣ - ٥) .

يجب على الانسان قبل أن يطلب من الله يفحص نفسه جيداً ، عندئذ يحق له أن يطلب من الله « إن قدمت قربانك وتذكرت أن لأخيك شيئاً عليك . فأترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب واصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك » مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤ . إن هذا شرط أساسى للوقوف أمام الله ، يقول داود إن كنت قد صنعت هذا . . . الله يعلم ماذا يقصد النبى بكلمة هذا . . . ولكن هذا اعتراف منه أنه معرض للخطأ . ولكن داود سامح الذين جازوه شراً فيحق له أن يقول « واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً لمن أساء إلينا » .

داود لم يقل سامحت الذين أساءوا إلىّ ، بل قال سامحت الذين جازونى بالشر وهذا يعنى أنه سبق فصنع لهم الخير وقابلوه بالشر .

لها ليست مجرد أمانة ولكنها مجازاة . . . ما أعظم قلبك يا داود تصر على فعل الخير وتجازى بالشر وتستمر فى عمل الخير ، هذا هو المبدأ الإلهى فى فعل الخير « لا تفشل فى عمل الخير لأننا سنحصد فى حينه إن كنا لا نكل » .

يرجع داود يتكلم بصيغة المفرد « يضطهد العدو نفسى فيدركها » . فالعدو هنا هو إبليس عدونا الذى يجول كأسد زائر ملتمساً من يفترسه (١ بط ٥ : ٨) .

وهذا العدو (إبليس) يدرك الانسان - ثم يدوس فى الأرض حياته لأنه من البدء قيل للحية « تأكلين تراباً » تك ٣ : ١٤ . ويؤكد هذا بقوله « ويحل فى التراب مجدى » .

« قم يارب برجزك وارتفع على أقاصى أعدائك . واستيقظ يا ربى وإلهى بالأمر الذى أوصيت وبجمع الشعوب حولك . وفى شأن هذا أرجع إلى العلى . الرب يدين الشعوب . وفى يارب كحقى وكمثل كمالى الذى فى ليته شر الأشرار ويثبت الصديق فإن فاحص القلوب والكلى هو الله البار » (٦ - ٩) .

إرتفع يارب على الصليب . . . على أقاصى أعدائك .

واستيقظ يارب من بين الأموات . . . فى وسط كنيستك بجمع الشعوب .

وارجع إلى العلى واصعد السماء . . . فتصعد باكورتى السماء

ودن الشعوب فقد أعطيت كل الدينونة للإبن (يوه ٥ : ٢٢).

داود يطلب دينونة الله ليس لأنه يشعر ببره بل لأن «الوقوع في يدى الله خير من الوقوع فى يدى الناس» ٢ صم ١٤ . لذلك داود يسلم ذاته بين يدى الله ليصنع ما يشاء ، فالله وحده فاحص القلوب والكلى وهو القاضى العادل .

« لينته شر الأشرار ويثبت الصديق »

١ ـ داود هنا يطلب ادانة الخطية وتوبة الخاطىء ... كما كان يفعل السيد المسيح .

٢ ـ داود يترجى فناء الشر ... وهذه طلبة ما أحوجنا إليها اليوم عندما نرى الشر يتكاثر حولنا .

٣ ـ « ويثبت الصديق » ثبته يارب كما ثبت الشهداء إلى النفس الأخير ، ثبت يارب كل نفس مجاهدة لأن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص» مت ٢٤ : ١٣ . « هنا صبر القديسين » رؤ١٣ : ١٠ . يارب ثبت إيمان أولادك فى وسط هذا الجيل الشرير ، يارب ثبت إيماننا ضد تيارات الانحراف والالحاد ، يارب ثبت كنيستك على عقائدها ضد تيار التحرر والانحراف .

« ترس عند الله مخلص مستقيمى القلوب » (١٠) .

« الله قاض عادل وإله يسخط فى كل يوم . إن لم يرجع يحدد سيفه ، مد قوسه وهيأها . وسدد نحوه آلة الموت ، يجعل سهامه ملتهبة » (١١ - ١٣) .

« هذا هو ترس الإيمان الذى قال عنه الرسول « حاملين فوق الكل ترس الإيمان الذى به تقدرون أن تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة » أف ٦ : ١٦ . فالانسان المستقيم القلب فى هذا العالم ، يكون الله له كالترس فى حياته ضد كل مكايد إبليس وسهامه الملتهبة ناراً .

« هوذا يمخض بالاثم ، حبل تعباً وولد كذباً . كرا جبا حفره سقط فيه فى الهوة ... » (١٤ - ١٦) .

يشرح النبى هنا مراحل الخطية ١ ـ مخاض ٢ ـ حبل ٣ ـ ولادة ورغم أن الحبل يسبق المخاض ، ولكنه هنا قدم المخاض دلالة على أن الوجع والآلام تصاحب الانسان من مجرد ميله للخطية . والمخاض يرمز إلى شوشرة أفكار الخطية التى تصاحب الانسان فى بدئه بالخطية وفى أثناء فعلها .

والرسول يعقوب ذكر هذه الخطوات بترتيبها الطبيعى

١ - الانجذاب . ٢ - الحبل . ٣ - الولادة . « والانسان يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته والشهوة إذا حبلت تلد خطية والخطية إذا كملت تنتج موتاً » يع ١ : ١٤ ، ١٥ .

فالخطية هنا يصحبها فقدان السلام ، وتنتهى بأن الذى يزرع الشر إياه يحصد ، « كراجباً حفره - وقع فى الهوة » .

« أحمد الرب حسب بره وأرنم لاسم الرب العلى » (١٧) .

يختم النبى المزمور بالاعتراف بالشكر والحمد لله من أجل عنايته - ويتحول الشكر فى حياته إلى ترنيم لاسم الرب العالى .

† † †

المزمور الثامن

عنوان المزمور : للختام فى المعاصر لداود النبى

المعاصر .

يرى القديس أوغسطينوس أن عنوان هذا المزمور يرمز إلى :

١ - إلى آلام الشهداء وشدائد المؤمنين التى تشبه المعصرة كقول النبى « قد دست المعصرة وحدى » أش ٦٣ : ٣ . فهذا المزمور يعبر عن مجد الله فى قديسيه الذين يجتازون المعصرة شهادة للمسيح .

٢ - ويرى آخرون أن المزمور يرمز إلى الكنيسة فالمعصرة يلتقى فيها العنب من أشجار كثيرة ، والكنيسة كذلك تجمع المؤمنين المتفرقين من بلاد بعيدة ، ولغات وأجناس ومواهب مختلفة - وهى تجمعهم على مذبح واحد وتقدم لهم خميراً واحد فيصبح الجميع واحد فى المسيح يسوع .

أما كلمة « الختام » فهى تشير إلى ختام عمل الله فى الخلاص ، قد أكمل .

المعنى العام للمزمور

النبى هنا يتحدث عن مجد الله الذى ارتفع فوق السموات ، هذا المجد الذى صار واضحاً ، ليس لأنه أقام الموتى - وشفى المرضى

وفتح أعين العميان وأنشر الرياح ... ليس لأجل كل هذا بل لأن أفواه الأطفال صارت آلات لتسبيح الله ولإسكات اليهود الأعداء المنتقمين . هذا ما حدث عند دخول ربنا أورشليم عندما طلب منه اليهود أن يسكت الأطفال فرد عليهم « أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت سبحاً » مت ٢١ : ١٦ . من أجل هذا تهلل يسوع بالروح وقال « أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض لأنك أخفيت هذه عن الحكماء والفهماء وأظهرتها للأطفال » مت ١١ : ٢٥ .

الله كشف لنا نحن الأطفال المؤمنين أسرار التجسد ، مجد الصليب ، قوة القيامة وأسرار الحياة الأبدية ... كل هذا أعلن للأطفال البسطاء وأخفى عن الحكماء .

والأطفال هم الرسل الأطهار الذين أعلن لهم الرب يسوع أسراره ، وهؤلاء كرزوا بالإيمان واجتذبوا المسكونة وبذلك أبكموا العدو المنتقم كما أبكم أطفال أورشليم حكامها بتسبيحهم المسيح « ما أعجب اسمك يارب فى الأرض كلها » .

✝ ✝ ✝

« أيها الرب ربنا (سيدنا) ما أعظم اسمك فى الأرض كلها لأنه قد إرتفع عظم جلالك فوق السموات » (١).

اسم الله كان معروفاً فقط فى أورشليم ، أما الآن فى المسيح يسوع فقد صار مجداً فى كل الأمم - فى الأرض كلها . أما قوله أيها الرب سيدنا فواضح أنه بإتمام الخلاص ، كسر الرب شوكة الموت وغلب الجحيم ودخل الفردوس وأعلن سيادته على الكل « لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة من فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض » فى ٢ : ١٠ .

« من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سبحاً لتسكت عدواً ومنتقماً » (٢) .

« لأنى أرى السموات أعمال أصابعك ، القمر والنجوم أنت أسستها » (٣) .

المعنى الأول واضح أنه نبوة عن دخول السيد المسيح أورشليم وتسبيح الأطفال له .

المعنى الثانى من تأمل القديس أوغسطينوس وهو : أن كلمة الله (الناموس) كتبت بأصبع الله - وهذا الإصبع يفهم على أنه الروح القدس « إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » لو ١١ : ٢٠ ... ومرة أخرى يقول بروح الله وفى هذا المزمور يقول عن السموات أنها عمل أصابع الله . فالسموات هنا تشير للكتاب المقدس المكتوب بإصبع الله والذى نبحث

فيه ونفهمه بالروح القدس الذى يرشدنا. وهنا نفهم كيف استطاع الأطفال أن يفهموا كلمة الله ـ لذلك قد ارتفعوا فوق السموات وسبحوا الله، أو بمعنى آخر طأطأ السموات ونزل لهم (مز١٨: ١٩) وهكذا الرسل الأطفال أدركوا أسرار السموات فى الوقت ذاته، الذى عجز فيه المتكبرين والفلاسفة عن ادراك الأمور السماوية وأمجاد الصليب. وهنا نرجع للآية الأولى فنرى أن مجد الرب ارتفع من الأرض كلها (التلاميذ والمؤمنين) إلى فرق السموات (أى أمجاد الله الجالس عن يمين الآب بجسدنا).

أما قوله السموات أعمال أصابعك، القمر والنجوم أنت أسستها، ولم يذكر الشمس ـ فهنا يكشف لنا أن كل الأعمال كانت بالليل ويمضى الليل فى التأمل والتوبة وعلامة التوبة هى دموع تقولونه فى قلوبكم اندموا عليه فى مضاجعكم، مز٤. أغرق كل ليلة سريرى بدموعى، مز٦.

وذكر أيضاً القمر والنجوم وليس الشمس، لأن القمر رمز للكنيسة والنجوم للمؤمنين، وهم يتلألأون فى وسط العالم المظلم، كتلألؤ النجوم فى وسط السماء.

✝ ✝ ✝

من هو الانسان ؟

الإنسان وكيل وليس مالك :

إن خطية الإنسان جاءت نتيجة إحساسه أنه سيد الخليقة، ولمى أنه صاحب سلطان ممنوح من الله. لذلك ينبغى على الإنسان فى علاقته بالعمل أن لاينسى أنه وكيل لله ـ يستمد السلطان منه وأنه ليس مالك للأشياء ليتصرف فيها كما يشاء ـ وبقدر ما يكون الانسان متصلا بالله مصدر السلطان بقدر مايكون ناجحاً فى وكالته وإدارته لأعمال الله الذى وكله عليها.

الله
↓
الإنسان وكيل الله
↓
الخليقة

« من هو الانسان حتى تفتقده ؟ » (٤) ... وضعته قليلا عن الملائكة بمجد وكرامة توجته وعلى أعمال يديك أقمته.

فسر معلمنا بولس الرسول هذه الآية بأنها تشير إلى السيد المسيح وتجسده بقوله « ... ولكن الذى وضع قليلا عن الملائكة يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الألم لأجل كل واحد » عب ٢ : ٩.

والمعنى المباشر هو عن الانسان الذى وضع قليلا عن الملائكة بعد أن سقط بغواية العدو. فبعد أن كان متسلطاً على جميع حيوانات الجنة أصبح الآن يتسلط على الحيوان ولكن بحذر وخوف ...

وأصبح سريع السقوط فى الخطية . ولكن لما صار الكلمة جسداً رفع جنسنا مرة أخرى ـ وأصعد باكورتنا إلى السماء فأصعدنا معه ، وأخذ جسدنا وجلس به فى السماوات عن يمين الآب ... فى مكان المجد . وهكذا بمجد وكرامة صار متوجاً فى السمارات . لهـــذا فى أول المزمور يقول « ارتفع عظم جـــلالك فوق السموات » (أى أصعدت باكورة جسد الانسان للسماء فى شخص الرب يسوع الجالس عن يمين الآب) .

واخضعت كل شىء تحت قدميه :

(ا) الغنم والبقر جميعاً ،

(ب) وأيضاً بهائم الحقل ، وطيور السماء ، وأسماك البحر السالكة فى البحار (٧ ، ٨) .

(ا) الغنم والبقر : الغنم تشير إلى القطيع المقدس الذى للمسيح ... أى المؤمنين ، وهكذا أصبح المؤمنين خاضعين للمسيح كخضوع قطيع الغنى لراعيه . أما البقر فهى تشير للرســـل والخدام الذين خضعوا للمسيح كقول الرسول « لا تكم ثوراً دارساً » ١كو ٩:٩، ١ تيمو ٥ : ١٨ . وهكذا نرى أن الجميع خضعوا للمسيح ، الغنم والبقر جميعاً ـ أى كل الخليقة المقدسة الروحية ... أى الناس المتفرقين

الذين جمعتهم الكنيسة (المعاصر) فى فكر واحد وجسد واحد ... فى المسيح يسوع وحده .

(ب) وأيضاً بهائم الحقل وطيور السماء ، وأسماك البحر السالكة فى البحار : كلمة وأيضاً تعنى معنى جديد وقصد جديد كمقول القديس أوغسطينوس ، فهو لا يعنى الغنم والبقر بل يقصد أمراً جديداً .

بهائم الحقل : ترمز إلى ملذات الجسد ، والحقل هو الطريق الرحب الذى يؤدى للهلاك (مت ٧ : ١٣) .

وطيور السماء : ترمز إلى المتكبرين ، الذى قال عنهم داود النبى « جعلوا أفواههم فى السماء » مز ٧٣ : ٩ .

وسمك البحر السالك فى البحار : يرمز إلى الانسان الفضولى الذى يضيع عمره باحثاً عن أمجاد العالم الباطلة كالسمك السالك فى البحـــار .

هذه الأمور الثلاثة قال عنها الرسول « شهوة الجسد ، وشهوة العيون (الفضول المادى) ، وتعظم المعيشـــة (الكبرياء) » ١ يو٢ : ١٥ ، ١٦ . هذه الأمور الثلاثة أخضعها الله تحت قدمى الانسان المجاهد فى الفضيلة .

وهذه الأمور الثلاثة هى بعينها إنتصر عليها الرب فى التجربة على الجبل . تجربة الخبز (الشهوة) ، تجربة إعطاء ممالك الأرض (شهوة العيون والبحث عن الماديات) ، تجربة إلقاء نفسه من على جناح الهيكل (الكبرياء) . وهذه التجارب الثلاثة إنتصر الرب عليها وأخضع الكنيسة فى شخص الانسان يسوع الذى أخضع كل شىء تحت قدميه بهائم الحقل (الشهوة)، طيور السماء (الكبرياء)، أسماك البحر (الفضول المادى)، فشكراً لله الذى غلب لنا وأخضع هذه الرذائل تحت أقدامنا وأعطانا النصرة والغلبة باسمه القدوس.

أخيراً « أيها الرب ربنا ما أعجب إسمك فى الأرض كلها » .

✝ ✝ ✝

المزمور التاسع

المزمور التاسع فى الترجمة السبعينية وفى ترجمات الكنيسة الارثوذكسية يشمل المزمورين التاسع والعاشر فى الترجمة البيروتية التى بين أيدينا . ونحن هنا سنتعرض المزمور التاسع حسب الترجمة البيروتية التى بين أيدينا .

العنوان : لداود للتمام فى خفايا الابن،
أو لإمام المغنين على موت الإبن - مزمور لداود ،
أو تسبحة الغلبة فى موت الإبن .

والإبن هنا لايقصد به إبنه أبشالوم بل هو يشير إلى إبن الله الكلمة المتجسد ، فهو يقول فى خفايا الإبن وفى موت الابن وليس فى موت إبنه . وداود عندما مات أبشالوم بكى وحزن عليه - ولكنه هنا يتكلم عن إنتصارات الابن .

فى خفايا الابن: الحقيقة أن أعمال الابن كلها كانت مخفية، تجسده وآلامه وموته وقيامته ونزوله إلى الجحيم. والتلاميذ لم يفهموا ماكان يقوله السيد المسيح عن آلامه «ها نحن صاعدون إلى أورشليم وإبن البشر يسلم للصلب وفى اليوم الثالث يقوم . أما هم فلم يفهموا » .

والرسول بولس يقول « السر المكتوم منذ الدهور والأجيال الأمر الذى لم يعرفه رؤساء هذا الدهر » .

كلمة للتمام : يقول عنها القديس أثناسيوس الرسولى أنه بموت الابن على الصليب وقيامته كان تمام الخلاص « قد أكمل » ، كما قال القديس بطرس الرسول « نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس . الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء ... » ١ بط١ : ٩ - ١١ .

« أعترف بك (أحمدك) يا رب من كل قلبى . أحدث بجميع عجائبك . افرح وابتهج بك . أرنم لاسمك أيها العالى » (٩ : ١ ، ٢) .

شكر - أعتراف بعجائب الله - فرح بالله - ترنيم لاسم الرب .

✝ الشكر والحمد ينبغى أن يكون من كل القلب ، نشكرك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال . وشكر فى الضيق « بل يفتخر بالضيقات » رو٥ : ٣ . فالذى يعلن له الرب أسرار ملكوته يشكره فى الضيق بل ويفتخر .

✝ الاعتراف بعجائب الله أمر يحس به المسيحى طول أيام حياته فحياتنا كلها سلسلة من عجائب الله الروحية والمادية فى حياتنا . الله الذى بارك جسدنا واتحد به وصلب عنا وأقامنا معه وأجلسنا معه فى السموات ... كل هذه العجائب هى موضوع إعتراف وتأمل المسيحى دائماً .

فرح وابتهاج بالله : ... الفرح هنا بك ، بالله وحده ، كثيراً ما نفرح بأمور زائلة - ولكن الرسول يوصينا أن « نفرح فى

الرب كل حين » فى ٤ : ٤ . وأن نفتخر بالرب « من إفتخر فليفتخر بالرب » . ليس فرح بالعالم ، ولا بلذات الجسد ، ولا بتذوق الأكل باللسان ، ولا فى الملبس ولا فى رائحة العطور ، ولا فى بهجة الأغانى ، ولا فى مديح الناس ، ولا فى الامتلاك ... ولكن هو فرح بالرب ، هو فرح فى إتمام مشيئة الآب ، فرح بالوجود الدائم مع الله ، فرح بخلاص الرب ، فرح التوبة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح ولكن حزنكم يتحول إلى فرح ... سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم ... أطلبوا تأخذوا ليكن فرحكم كاملا » يو ١٦ : ٢٠ - ٢٤ .

فالفرح بأمور العالم فرح ناقص ، والفرح بالله فرح كامل .
والفرح بأمور العالم ينزع منا ، والفرح بالله لا ينزعه أحد منا .
والفرح بأمور العالم له نهاية ، لكن الفرح بالله فرح أبدى .

« الله الديان » من ١ بط ٣ - ١٠

« عند رجوع أعدائى إلى خلف يسقطون ويهلكون من قدام وجهك » (٣) .

« فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ... فخرج يسوع ... وقال لهم من تطلبون ... أنا هو ... فلما قال لهم إنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض » يو ١٨ : ٣ - ٦ .

« جلست على الكرسى قاضياً عادلا » (٤) .

فربنا يسوع بصعوده إلى السماء جلس عن يمين الآب . ويمين الآب تعنى القوة أو مكان الدينونة ، ومكتوب « لأن الآب لايدين أحد بل قد أعطى كل الدينونة للإبن » يو٥: ٢٢. فكلمة جلس تشير إلى صعود الرب للسماء وتشير إلى الدينونة التى سيدين بها العالم لذلك يكمل « أهلكت الشرير محوت اسمهم إلى الدهر والأبد . العدو تم خرابه إلى الأبد ... أما الرب فإلى الدهر يجلس . ثبت للقضاء كرسيه وهو يقضى للمسكونة بالعدل يدين الشعوب بالاستقامة » (٥ - ٩) .

« الله الملجأ » من آية ٩ - ٢٠

« الرب ملجأ للمنسحق . ملجأ فى أزمنة الضيق » (٩) .

« ويتكل عليك العارفون إسمك . لأنك لم تترك طالبيك يارب » (١٠).

« ذكرهم . لم ينسى صراخ المسكين » (١١ ، ١٢) .

« يا رافعى من أبواب الموت لكى أحدث بكل تسابيحك فى أبواب إبنة صهيون مبتهجاً بخلاصك » (١٣ ، ١٤) .

« لأنه لاينسى المسكين إلى الأبد رجاء البائسين لا يخيب إلى الدهر » (١٨).

هذه الآيات الذهبية تبين إهتمام الله بأبنائه المتواضعين

والمسحوقين ، حينما يرتمى العابد وكأنه الشرير وأمام مايركز حوله الشرير .

(أ) « لم ينس صراخ المساكين » ذكرهم ، لم ينسهم صراخهم ، لكنه الله الذى لا يغفل ولا ينام .

(ب) إنه ملجأ المنسحق ، ملجأ للقلب المنسحق فى زمن الضيق ، المنسحق صراخ تكسير ، وهو القلب المتكسر والمتواضع لايرذله الله . وإن كان الله يرهب الأشرار لكى ينسحقوا أمامه ويتواضعوا « ويعلموا أنهم بشر » (٩ : ٢٠) ، لأن كبرياء الإنسان وشره ناتج عن نسيانه حقيقة طبيعته البشرية .

(ج) خلاصنا هو الرب : أن أبواب الموت هو الجحيم وربنا يسوع بموته دخل إلى الجحيم ورد أبانا آدم وبنيه إلى الفردوس « ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن » ١بط٣: ١٩ . وعندما بشرت الأرواح السيدة الخلاص ترنمت بتسابيح الرب فى أبواب إبنة صهيون ـ التى هى الكنيسة التى ترنم كل يوم ترنيمة الغلبة والخلاص الذى لنا بصعوده لايمكث « سبحوا الرب لأنه بالجد تجد الفرس وركاب الفرس طرحهم فى البحر الأحمر ... قوتى وتسبحتى هو الرب صار لى خلاصاً » خر١٥: ١ ، ٢ .

† † †

المزمور العاشر

فى الترجمة الأصلية للكتاب المقدس (الترجمة السبعينية) ، كذلك فى جميع الترجمات القديمة غربية أو شرقية يوضع هذا المزمور مكملا للمزمور التاسع . ولكن الترجمة الموجودة بين أيدينا (الترجمة البيروتية) قد قسمت المزمور التاسع إلى قسمين (التاسع والعاشر) . فالمزمور العاشر الذى هو بين أيدينا الآن ، تعتبره الكنيسة جزءاً من المزمور التاسع .

✝ ✝ ✝

هذا المزمور يبحث فى موقف الله من الأشرار . لماذا يتركهم أحياناً يكثروا وينموا ويزداد شرهم . لماذا يترك الله المسكين يحترق من شر الأشرار . . . كل هذه الأسئلة يبدأ بها هذا المزمور « يارب لماذا تقف بعيداً لماذا تختفى فى أزمنة الضيق فى كبرياء الشرير يحترق المسكين . . . » (٣،١) .

✝ يرى البطريرك أثيثيوس أن هذه الشكوى يتقدم بها الانسان لله عندما ينفذ صبره ، مثل الانسان المريض الذى تطول مدة علاجه بينما هو يستعجل الشفاء . . . عندئذ يطلب الخروج من تحت يد الطبيب - ليس لأن هذا الطلب فى صالحه ولكن من شدة الألم وقلة الصبر . وهكذا كثيراً عندما تطول مدة التجربة نطلب من الله

أن يرفعها عنا ، ليس لأن هذا فى صالحنا . . . ولكن من أجل قلة صبرنا ، لذلك نهتف الخلاص قائلا « الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » . والصراخ إلى الرب هنا ليس من سبيل العتاب له بل هو نوع من التضرع لتنتهى مدة التجربة . ولكن لو علم الانسان أن التجربة هى لصالحه ، وأن الذى يجيبه الرب يزيده ، وأن التجربة إنما لنفعنا وزيادة صبرنا ورجاءنا وإيماننا . . . لو علم الانسان كل ذلك لقال مع داود يارب أنقى وحرر نفسى قلبى وكليتى لأن رحمتك أمام عينى .

✝ والحقيقة أن الله لا يبتعد عنا وقت الضيق . ولكن نحن الذين نقف بعيداً عن الله لعدم إيماننا ثم نشكو أن الله يقف بعيداً .

إن الله قريب جداً تائقاً فى مؤخرة السفينة يطلب منا الصلاة وزيادة الايمان . . . كأنه يقول لنا ما بالكم خائفين يا قليلى الإيمان » مت ٨ : ٢٤ - ٢٦ .

✝ وعلى العكس فى الله فى وقت التجربة يكون قريباً جداً من أولاده . ففى تجربة أيوب كان الله يراقبها بدقة ويقول للشيطان « هوذا كل ما له تحت يدك وإنما إليه لا تمد يدك » أى ١ : ١٢ . وفى وقت ضيقة دانيال كان الله معه فى جب الأسود وفى كل مرة يعلن الملاك لدانيال أنه كان معه طول وقت التجربة « . . . من اليوم الأول الذى قلبك للفهم وللإذلال نفسك قدام إلهك سمع كلامك

وأنا أتيت لأحل كلامك » ص ١٠ : ١٢ . ومع التجربة تأتي نجاة الله ... فيصل لهم في آخر الزمان ... وأبرز إبراهيم عندما رفع السكين لذبح إبنه ظهر له الملاك وأعفى له الحمل . من هذا كله نستنتج أن للتجربة درجة هي بمثابة الوصول للموت ... وعندما يتمجد الله ويظهر ذاته في موتنا عندما نعجز تماماً فنقول « قفوا وانظروا خلاص الرب ... » خر ١٤ : ١٣ .

✝ ويرى القديس أوغسطينوس أن الله يترك أولاده في التجربة أحياناً ليزداد شوقهم له ، ليزداد صراخ المسكين بالروح له ، ليزداد تحنناً نحو الرب ، ليزداد كراهية لشهوات العالم الزائل ... وأيضاً ليزداد بر الأبرار ويضيئون كالشمس في وسط العالم .

✝ ومن ناحية أخرى فالله يطيل أناته على الأشرار ليعطيهم فرصة للتوبة كما فعل مع يهوذا الأسخريوطي ، لأن أناة الله إنما تقتادنا إلى التوبة .

خطايا الأشرار : من آية ١ - ١١

هذه الخطايا يلخصها المزمور في كبرياء الشرير ، وافتخاره بصنع الشر ، والتجديف على الله ، والإلحاد والقول أنه ليس إله وليس من يطالب ، وأن الله ينسى ، كذلك إحساس الشرير بثقته في أنه لن يتزعزع لذلك يزداد في ظلم المسكين ويفترسه كالوحش .

✝ واضح من هذه الخطايا أن الكبرياء هو أساسها ، فالكبرياء ينقل الإنسان من خطية إلى أخرى . والكبرياء يؤدي للإلحاد ، واضطهاد الناس ... الخ .

✝ إن شر الشرير ليس فقط اضطهاده للمسكين فقط بل في إغاظته لله . لأن الشرير يتضايق من الناس مع أنه كان يستوجب الإدانة على شره ، لكن مديح الناس له يجعله يزداد في شره ولا يبالي بالله .

✝ إن الشيطان يجد في الإنسان الشرير مكاناً يكمن فيه كما يجلس اللص في كمينه ، كما اختفى في الحية وخدع حواء وهذا معنى قول المزمور « يكمن في الخفي كأسد ، يكمن ليخطف المسكين . يخطف المسكين يجذبه في شبكته » (٨) .

✝ والشيطان يختفي في الشرير أي يختفي في أفعاله وأقواله ولسانه الغاش « تحت لسانه مشقة » (٧) كما اختفى تحت لسان الهراطقة وأصحاب البدع . وهو يصوب سهامه ليصطاد المسكين ... ولكنه لا يقدر أن يصيد أولاد الله المتمسكين به .

✝ والشرير يكمن كالأسد المختفي في عرينه ليصطاد المسكين في شبكته ، هو يصنع الشر في السر ليس خجلاً مما يفعل ولا رغبة في التوبة ولا خوفاً من الله ... ولكن خوفاً أن تنكشف مؤامرته .

وهو يصطاد المسكين فتفشل ـ لذلك فهو يكمن فى السر حتى يصطاد المسكين فيعامله كمعاملة الأسد لفريسته .

✝ والشرير يقتل البرىء ليس فقط بقطع الرقبة ، ولكن هناك أنواع من القتل الأدبى، وتلفيق التهم الكاذبة للأبرياء... وهذا ما يفعله العالم بأولاد الله .

✝ والاضطهاد بالنسبة للكنيسة كان كالأسد الذى يفترس الشهداء، بلا رحمة كانوا يضطهدون الكنيسة . والهراطقة أيضاً كانوا يضطهدون الكنيسة بلا رحمة، والكتاب المقدس يحذرنا من المسيح الدجال لأنه سيفعل هذه الأمور بنا فى المستقبل بلا رحمة .

✝ وهكذا يكمل القديس أوغسطينوس قائلاً « إن تعمق الشرير فى شره يزيد من كبريائه حتى أنه يقول فى نفسه « لا أتزعزع إلى الدهر » (٦) . وهذا يقابله قول الرسول عن الشرير أنه « يجلس فى هيكل الله كإله مظهراً نفسه كأنه إله » ٢ تس ٢ : ٤ .

ومن هنا فالشرير يرغب دائماً فى مديح الناس له ـ بينما الأبرار يهربون من المديح ، لكن الشرير يطلب المديح متظاهراً أنه يستحق المديح حتى « يضل ولو أمكن المختارين أيضاً » مت ٢٤ : ٢٤.

انصاف المساكين ـ وعقاب الأشرار : من آية ١٢ ـ ١٨

أولاً : ليس هناك يتيم أو مسكين فى المسيحية :

فاليتيم يقول « أبانا الذى فى السموات » ، واليتيم يسمع صوت المسيح القائل لن أترككم يتامى لكن أرسل لكم الروح المعزى . والمسكين يسمع قول الرب طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . فالانسان المسيحى قد سلم حياته لله ، والله معه ... فهو ليس مسكيناً أو يتيماً بل ملكاً لله .

« أنا معكم كل الأيام والى إنقضاء الدهر » . فيكفى انصافاً للمسكين أن يؤمن أن له ملكوت السموات وأن الله معه ، وأن الله أبوه .

ونحن مساكين بطبعنا ، من أجل ذلك نقول « اللهم التفت إلى معونتى ... لأنى مسكين وفقير » مز ٦٩ . فمن أجل ضعف طبعنا نطلب معونة الله ليخلصنا وينجينا من الشرير، ولكن بالمسيح نحن أقوياء وشعور رؤوسنا محصاة أمامه ، لذلك نحترس دائماً أن نكون ثابتين فى الرب مصلين كل حين .

ثانياً : عقاب الأشرار ناتج من أعمالهم :

الله انتظر عليهم حتى يتوبوا ولكن أحكامه كانت فوقهم (٥).

إن مجرد حيثة الأشرار فى شرهم تجلب عليهم مصائب كثيرة.
فأفكار الشرير كالسلسلة تربط صاحبها بها ، ولسان الشرير يجلب
على صاحبه مشاكل كثيرة لذلك قال المزمور يؤخذون بالمؤامرة
التى فكروا بها (٢) .

وأكبر عقاب يقع فيه الشرير هو أن الظلمة تعمى عينيه
فتحجب عنه رؤية الله . فهل هناك عقاب أكثر من هذا ... أن
يدنس الانسان عينيه فيحرم نفسه بنفسه من بركة النور
الحقيقى الرب يسوع .

والخطية دائماً بعقبها الحزن والألم والمرض ، فالأشرار دائماً
فى ضيق نفسى وحقد وغضب وشر وانقسام عائلى وشورة لا تنتهى
وغيرة وحسد ، لذلك قال المزمور « تحت لسانه مشقة » (٧) .

دائماً الشرير تعبه ليس له بل للغير ... للباطل .

وبعد كل هذا فالشرير له عقاب أبدى.

✝ ✝ ✝

أودع بدار الكتب تحت رقم ٣٤٩١ لسنة ١٩٧٢